مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٨/١/٨

بالونـات الاختبـــار التى أطلقهـــا بيجين أمس !

في أسوان : اتفق الرئيسان ،السادات وكارتر ، على عدد من الخطوات العمليـــة ، التىتضمن لعمليةالسلام ،استمرار قوة الدفع ، بحيث يكون عام٧٨ هو عام التسوية الشاملة للازمة ، واضعين فى اعتبارهماالاهمية القصوى لعامل الزمن، فالامر لم يعد يحتمل اى تلكؤ أوتسويف ، كما أن دفع المزيد من العصى الى العجلات لن يكونمن شانه ان يعرقل فقط الجهود الراهنة ، وانما قد يخلق أيضانوعـــا من النكوص والارتداد الذى يهدد فكرة السلام ذاتها ،خصوصا بعد أن تصاعدتالامال ـــ على هذا النحو ـــ فى امكانتحقيقه .

□ **اتفق الرئيسان ..** على ضرورة العمل المشترك من أجل اعلان بيان مصرى ـ اسرائيلى ، بأسس التسوية العادلة خلال اجتماعات اللجنة السياسية فى القدس ، التى سوف تبدأ خلال منتصف يناير الحالى ، والتى سوف يشارك فيها وزيرا خارجية مصر واسرائيل ومعهما سيروس فانس وزير الخارجية الامريكية .

□ **اتفق الرئيسان ..** أيضا على أن صدور هذا البيان ـ متضمنا للمبادىء العادلة التى ينبغى أن يقوم عليها السلام فى الشرق الاوسط ـ من شأنه أن يهيىء الفرصة لتوسيع دائرة التفاوض ، بانضمام أطراف جدد الى عملية السلام ، ربما يكون أولها ، الاردن ، خصوصا بعد أن ألح الملك حسين فى مباحثات طهران الى استعداده للمشاركة ، اذا ما تضمن «البيان» موقفا اسرائيليا ، أكثر ايجابية ، ازاء مستقبل الضفة الغربية .

□ **اتفق الرئيسان ..** أيضا ، على أنه بدون ايجاد الحل للمشكلة الفلسطينية فلن يكون هناك سلام دائم ـ وفى هذا المجال ، أعلن الرئيس الامريكى اقتناعه بضرورة مشاركة الفلسطينيين فى تحديد مستقبلهم .

وذلك يعنى ـ بعبارة أكثر وضوحا ـ أن الرئيس الامريكى يرى ، أن المقترحات التى قدمها بيجين ، من أجل حل المشكلة الفلسطينية غير كافية ، وأن على الاسرائيليين أن يتقدموا خطوات أخرى على الطريق .

معنى ذلك ، أن اجتماعات القدس سوف تكون بالغة الاهمية ، والخطورة وسوف يكون هناك مشروع اسرائيلى من ٢٧ نقطة ، ذاك الذى قدمه مستر بيجين فى مباحثات الاسماعيلية ، ثم أعلن بنوده بعد ذلك فى اجتماعات الكنيست وسوف يكون هناك مشروع مصرى مقابل وسوف تتوقف جهود التفاوض الى حد كبير على طبيعة الوجود الامريكى ، داخل اللجنة ، هل يحصر الوجود الامريكى ذاته وتأثيره ، فى مجرد تقديم التسهيلات والخدمات لاطراف التفاوض المباشر ، كما يريد المستر بيجين ، أم انه سوف يكون وجودا فعالا ومؤثرا ، كما وعد الرئيس الامريكى عندما أعلن فى أسوان « اننا سوف تشارك فى اجتماعات اللجنة السياسية ، وسوف نكون موجودين هناك بقوة ، من أجل نجاح مهمة اللجنة فى اصدار بيان بالنوايا » .

ان الواضح حتى الان ، أن كلا الطرفين ، مصر واسرائيل لا يزالان ـ على وجه الاجمال ـ عند مواقفهما الاساسية :

مصر ترى فى مشروعها المقابل للمشروع الاسرائيلى :

① انه لا سلام مع بقاء القوات الاسرائيلية فى الارض التى جرى احتلالها عام ٦٧ .

② أن حق تقرير المصير للفلسطينيين ، هو أقصر الطرق لمواجهة جذور المشكلة .

③ انه لا خلاف الان على طبيعة السلام الذى يمكن أن يقوم فى المنطقة ، وأن السلام يمكن ان يتعزز بعلاقات طبيعية وجديدة مع الاسرائيليين ، اذا ما انتهت أطماعهم فى الارض العربية .

④ أن الامن الاسرائيلى يمكن أن يجد الحل ، فى معاهدات تربط بين اسرائيل وجيرانها ، وفى الضمانات الامريكية والدولية أيا كانت طبيعة هذه الضمانات .

ومع ذلك فان الاسرائيليين ، يطلقون هذه الايام العديد من بالونات الاختبار ، استعدادا لاجتماعات اللجنة السياسية فى القدس ، واستعدادا لاجتماعات اللجنة العسكرية فى القاهرة « اللجنة المصرية الاسرائيلية » ، التى يشارك فيها وزيرا الحربية المصرى والدفاع الاسرائيلى من أجل مناقشة قضايا الانسحاب والضمانات »

ان أول بالونات الاختبار التى اطلقها الاسرائيليون هى اعلانهم أمس الاول عن عزمهم لاستكمال سلسلة مستعمرات الاستيطان الاسرائيلى على حدود سيناء الشمالية ، تعزيزا لمدينة يميت التى أقاموها هناك ، والتى يسكنها الان ٨٠٠ من اليهود ذوى الاصل الكندى ، ويعمل فى مزارعها ما يقرب من ٣ آلاف عربى ، من ابناء العريش ورفح وغزة !

أما بالون الاختبار الثانى ، فيتمثل فى اعلانهم عن ضرورة التعاون فى مشروعات الاستثمار المشترك المتعلقة بخليج السويس ، خصوصا فى منطقة الطور ، حيث يتكتم الاسرائيليون خبر اكتشاف حقل بترولى فى الارض المصرية هناك ، تؤكد الانباء المتسربة ، انه سوف يكون واحدا من اكبر حقول البترول فى منطقة الشرق الاوسط .

وعلى الطريقة الاسرائيلية ، قبل ١٠ أيام فقط ، من اجتماعات اللجنة السياسية فى القدس ، وعلى الرغم من التصريحات الامريكية المضادة للمشروع ، **أطلق الاسرائيليون بالون الاختبار الاول ، المتعلق بتعزيز وجودهم الاستيطانى فى المنطقة الواقعة ما بين رفح والعريش ، ونقلوا الى المنطقة عددا من الجرارات ، للبدء فى تخطيط ٨ مستعمرات جديدة ، واعلنوا عن فتح اعتماد بمبلغ ٢٥ مليون دولار ، من أجل سرعة انجاز المشروع قبل أن يتم توقيع معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ! ليعطوا انطباعا عاما ،** بأن الامر يتجاوز مواقف التفاوض التقليدية التى يدخلها كل طرف وهو يشهر ابتداء ــ حدوده القصوى ، وأن الامر مصيرى ، لانه يتعلق بضمانات أمن اسرائيل !

الاسرائيليون يعرفون جيدا :
أن مصر لن تقبل وجود « جيتو » اسرائيلى مسلح على حدودها الشمالية ، وانه لن يكون هناك مستوطنات يهودية على الارض المصرية بعد اتفاق السلام ، وأنهم سوف يرغمون على ازالتها ، اذا ما كانوا راغبين حقا فى السلام الدائم .. ومع ذلك أطلق بيجين بالونه .

لقد اطلق بيجين بالونات اختباره لاسباب عديدة :

أولها : أن يختبر صلابة الارض التى يستند اليها المفاوض المصرى ، فى الداخل فلربما يكون المصريون فى سعيهم الحثيث الى السلام ، على استعداد لان يغضوا الطرف عن الامر وما دام المصريون يضغطون على قياداتهم على هذا النحو الكثيف من اجل السلام ، فلنجرب أن نعطيهم أى سلام ، ربما يقبلونه .

ثانيا : ان يزيدوا من متاعب وتعقيد المتاهة العقلية التى يعيش فيها هؤلاء الذين استبعدوا انفسهم وبقوا حتى الان ، خارج دائرة الجهود الراهنة من أجل التسوية ، « السوريون ــ الفلسطينيون » وأن يعطوا الرافضين « الجزائر ــ العراق ــ ليبيا » مادة جديدة للعبث أو للتشفى أو للتلهى .. خصوصا وأن الرافضين الذين يستعدون

لاجتماع ثان فى الجزائر ، لا يملكون الان مطعنا على الموقف المصرى الذى أكد التزامه بالاهداف الاستراتيجية النهائية للعمل العربى ، لابد من القاء قدر من الطعم ولابد من أن تزرع أرض التفاوض بأبعادها الواسعة بشراك خداع كثيرة ومتنوعة ، فلعل العرب يقعون مرة أخرى فى تلك الشراك ، ليعرف العالم ، أنه وان كان من الصعب على أحد أن يشكك فى صدق الجهود المصرية من أجل السلام الا ان هناك عربا آخرون يرون غيرذلك

الاسرائيليون يهدفون أيضا من وراء هذا البالون الى أن يزرعوا الشوك على طريق اقتراب دول الدعم « السعودية والخليج » لمساندة موقف المفاوض المصرى .. فلربما يسفر الامر فى النهاية عن تآكل كامل فى قوة اقناع الموقف المصرى ، فيسهل قضمه ، قطعة ، قطعة ، أو يغيب الى حين هدف السلام الذى ينصبه السادات باصرار بالغ وعنيد دون ان نكون نحن الاسرائيليين على استعداد له .

ثالثا : يطلق بيجين بالون اختباره فى هذا الوقت بالذات : لسبب ثالث ، يريد أن يوحى من خلاله بأن قدرة الامريكيين على الضغط على الاسرائيليين ليست مطلقة كما يتصور البعض وأن ... اك قضية أمن اسرائيلى لاتستطيع قدرة الضغط الامريكى أن تجازف بالتماس مع هوامشها فضلا عن أن تتصادم مع تصوراتها الاساسية ، وما دام الجميع يسلم بأن هناك مشكلة أمن اسرائيلى ، فينبغى تضخيم الامور على نحو بالغ ، فلربما تسفر عن مكاسب .

يستطيع المفاوض المصرى فى المقابل ، أن يطالب ويصر على تنفيذ قرارات التقسيم ، أو أن يكون الجنوب الاسرائيلى الذى يعانى من نقص فى السكان ، مكانا لاستيطان فلسطينى الشتات ، أو أن يكون للمصريين داخل النقب مناطق استيطان مقابلة على مساحة تعدل أو تزيد مساحة يميت وملحقاتها .

يعرف مستر بيجين : أن السادات يقف على أرض فى الداخل تمثل نوعا من الاجماع المصرى على ضرورة العمل من أجل اقامة سلام عادل ..

وحتى انصار التجمع الديموقراطى « حزب اليسار المصرى » الذى كان قد أعلن مع بداية المبادرة ، اعتراضه الكامل عليها ، يعود الان بعد أن أدرك اغتراب موقفه ، ليعلن استعداده للوقوف وراء المفاوض المصرى فى تحقيق المطلبين العربيين الاساسيين .

يعرف مستر بيجين أيضا أن المصريين لا يدخل فى روعهم كل تلك المخاوف الوهمية عن مخاطر الابتلاع الصهيونى فى ظل السلام . فالمصريون ، منذ زمان بعيد ، منذ زمان موغل فى البعد ، قد جاوزوا سن الرشد ، وما ينبغى أن يعرفه مستر بيجين أن السادات لن يخسر الكثير ، اذا ما عاد لشعبه ليقول له : لقد أعيتنى الحيلة مع صلافة الاسرائيليين انهم لا يريدون حقا السلام ... سوف يخرج له المصريون مثلما خرجوا له بعد عودته من رحلة القدس وسوف يبقى فى مكانه وسوف يحتار الجميع فى تفسير الظاهرة الجديدة اذا ما أغفلوا كما أغفل مستر بيجين الحقائق البسيطة للموقف ، وتصوروا أن المصريين يريدون أى سلام

ينبغى أن يفهم مستر بيجين انه ليس من امن مصر أن يكون على حدودها الشرقية جيتو اسرائيلى مسلح ، قلاع استيطان مسلحة بسراديب وأسوار واسلاك تتصل بالجيتو الكبير ، سواء دفع سكان هذا الجيتو الصغير ، الضرائب للسلطات المصرية أو لم يدفعوها ان كان بعض اليهود يريدون العودة

الى مصر فاهلا بهم فى الداخل ، لا على الحواف ، يعود الراغبون منهم الى ذات الانشطة السابقة ، وتحت توانين الاستثمار الاجنبى ، وتحت سلطة القانون المصرى العام أما أن يكون على حدود مصر جيتو اسرائيلى مغلق ومسلح فلا أعتقد أنه حتى مستر بيجين نفسه يتصور أن مصر تستطيع أن تزدرد بالونه الاختبارى .

نعرف ان المستر بيجين — حساس للغاية — ازاء الحديث عن أية ضغوط أمريكية محتملة على الموقف الاسرائيلى لكنه يعرف أيضا ، أنه يقود بلدا ذات اقتصاد منقول بنسبة تصل الى مائة فى المائة ،بلد يعتمد فى كل موازناته على ما يصل اليه من خارج الحدود ، على ما يصل اليه من الولايات المتحدة ، فى صورة معونات اقتصادية ، وسلاح بلا ثمن ، وموارد نقدية تتشكل منها أعمدة وبنود الميزانية الاسرائيلية كل عام .. ومع تقديرنا البالغ لحساسيته الشديدة ، ازاء حريته فى اتخاذ القرار ، الا أنه ينبغى أن يكون مدركا لبواعث الرفض الامريكى لبالونه الاختبارى الاخير ، أن الامريكيين يرفضون فكرة الاستيطان المسلح فى الارض العربية المحتلة ، ليس لانها ضد القانون الدولى، وليس فقط لان العالم بأكمله قد أدانها فى الامم المتحدة أخيرا عندما قدمت مصر مشروعا بذلك امام الدورة الاخيرة للجمعية العامة .. ولكن الامريكيين يرفضون الفكرة لانها تناقض أمن المنطقة ككل .. تناقض أمن مصر وتناقض الامن العربى بمفهومه الواسع ، وتناقض أمن اسرائيل ذاتها ، وتزرع فى المنطقة بؤرا جديدة للتوتر والاستقطاب بأكثر مما تقدم الحل لمشكلة الامن الاسرائيلى

الاسرائيليون : يقولون أن أرضهم جد ضيقة وان هناك مواقع خانقة على حدودهم ، خصوصا فى الجنوب ، شمالا من ايلات « طرف الرمح المرتكز على الخليج » وان فرقة مصرية تستطيع أن تتصل بالقوات الاردنية ، فى قفزة يوم واحد ، لان عرض البلاد لا يتجاوز فى هذا المكان الـ ٢٠ ميلا ، وأنه لذلك ينبغى أن يكون هناك حزام من المستعمرات الامامية المسلحة ولا بأس من أن يدفع اليهود المقيمين فيها الضرائب للسلطات المصرية . !

فلنذكر مستر بيجين ، باوهام الامن السابقة المتعلقة بخط بارليف ، كانوا يتصورون ، أن بارليف هو الحل وهو النهاية وهو الطوق الحارس . وعندما سقط بارليف ، هونوا من شانه ، اعلن ديان ، أن بارليف كان قطعة من جبن الجروبير ، به من الثقوب أكثر مما به من الجبن ، ولن تكون يميت وملحقاتها، أكثر صلابة من بارليف اذا كان الهدف الحقيقى هو الامن وليست نوايا التوسع!

الامن الاسرائيلى ، ببساطة معلق على الموقف المصرى ، من قضية الحرب او السلام ، وتستطيع أن تضمنه ، معاهدة السلام ، كما تستطيع أن تضمنه الضمانات الامريكية والدولية ، واذا كان الاسرائيليون جادين فى تحقيق الامن الاسرائيلى فان دورهم الاساسى ، أن يمكنوا من خلال الانجاز الحقيقى، الظروف والفرصة ، لنجاح مبادرة السادات ذلك أن هذا النجاح سوف يشكل قوة اقناع كبيرة لباقى الاطراف ، خصوصا هؤلاء الذين ما زالوا يترددون على درجات السلم ، السوريون والفلسطينيون .. انه لا حرب بالفعل الا بمصر ، ولكن السلام المستقر الشامل معلق فى جوانب كثيرة منه على باقى الاطراف ، برغم أن مصر تشكل أيضا مفتاح السلام ودفته .

مستر بيجين فيما ان الدفة فى وجهتها الصحيحة فحاذر أن تعود مرة أخرى الى سابق موقعها .

ان يورى أفنيرى ، أكثر الاقلام الاسرائيلية نزوعا تجاه السلام ، يحلم بتعايش مشترك وتعاون عربى اسرائيلى وتواجد اسرائيلى مع المجموعة العربية ، داخل منظمة اقليمية للشرق الاوسط ، ولا اعتراض لنا البته على أحلامه ، لكنه يقول مع ذلك شيئا هاما ، ما كان لمستر بيجين أن يثبته لنا اليوم ببالونات الاختبار التى يعرف مسبقا أنها لن تصمد طويلا !

يورى أفنيرى ، يقول بالامس أن المشكلة فى اسرائيل هىفى هذاالصراع الذى ما زال يعتمل داخل كل اسرائيلى فى ذلك الازدواج فى الشخصية ،الذى يحس به كل فرد هناك انه يريد السلام، لكنه يريد فى نفس الوقت ، اسرائيل الكبرى ، دولة تمتد من البحر حتى النهر ، وربما الى ما وراء الصحراء « شرق الاردن » دولة واحدة وسيف واحد ، قد يكون داخل الدولة شعبان ، « الفلسطينيين واليهود » ولكن أحدهما يحكموالاخر محكوم عليه بان يبقى محكوما الى الابد !!

ان السلام لا يمكن أن ينهضبعدالة مع هذا الازدواج فى الشخصية الاسرائيلية ، وينبغى لمستر بيجين نفسه أن يكون أكثر الاسرائيليين شجاعة فى خلع الاقنعة والمفاهيم القديمة ، لا أن يبقى حبيس أوهام حاخامات الداخل ، والجماعات الدينية المتطرفة من أنصار الاستيطان العسكرى .

ولعل المستر بيجين فى قرارة نفسه يدرك خطأ تصوره ، وهو يراجع الارقام فى مستوطنة يميت ، ٨٠٠ يهودى ، لكن القاعدة الاساسية لعمال المستوطنة تكمن فى عمل ٢٥٠٠ من عرب العريش ورفح وغزة .

أى أمن ذلك يا مستر بيجين ، بل أى توسع ، أين شعبك القديم ، الذى كان يتوق الى المحراث ! انهم يريدون الحياة ، لا أرض الاخرين !

ينبغى أن يفهم مستر بيجين ، أو ينبغى أن يساعده المستر كارتر على أن يفهم ، أن هناك متطلبات للامن المصرى ، كما أن هناكمتطلبات للامن الاسرائيلى ، لا أريد أن أقول أن متطلبات الامن المصرى تفوق متطلبات الامن الاسرائيلى ، خشية أن يتصور الاسرائيليون أننا نبارزهم الصلف . ولكنهاالحقيقة الاستراتيجية الاكيدة فى الشرق الاوسط .

أمن مصر فى استقرار بابها الشرقى ، وليس مما يضمن استقرار بابها الشرقى ، أن يكون هناك جيتو مغلق ومسلح على طرفها الشمالى وليس مما يضمن استقرار بابها الشرقى ، أن تكون هناك مشكلة فلسطينية فى الارض المقدسة .

أمن مصر أيضا فى سلامة عمقها العربى المجاور وسلامة قدرتها على حماية بحريها الابيض والاحمر ، وذلك يعنى أن أية قدرة دفاع مصرية وعربية ينبغى أن تتوازن مع هذه الواجبات ، ينبغى ان تتكافأ مع مجموع القدرة القتالية للمجتمع الاسرائيلى ككل وليس مع جيش الدفاع الاسرائيلى وحده .

وتلك قضية أخرى .

مكرم محمد أحمد